

ناصر قنديل

من صباح الخير لغزّة جلطة دموية مغمّسة بالعزّة، إلى «قالت له» عن الحيرة والغبرة، و«رياضيات في الكلام» عن العقل والقلب واللسان، والذكرى عبر «لمن يتذكر» عن معادلات المقاومة في ذكرى حرب تموز وتماهي المشهد مع غزّة، انتهاءً بالمختصر المفيد ومحافظ الأسهم في معادلات المنطقة، حديث الجمعة هذا الجمعة، بين أيديكم لتختاروا.

صباوات

لغزّة التي تخرج من تحت شلال دمها أظهر من الملائكة والمقاومون الهة حرب في سجنٍ من الأسلاك الشائكة يصنعون للقرن معجزة ولعرب أدملوا النكر لتاريخهم حتى صاروا بلا تاريخ يكتبون ما عجزوا عن كتابته بالحبر بترسانة من الصواريخ صباح الخير لتوقم المبركافا على تخوم بيوت الصفيح كما ذئاب وتلعبل تضحى ديك الصباح أن يصيح صباح الخير للحظة حاسمة كتبت فيها الأمة بحفنة من بينها بعضاً من بيوت الشعر الجديدة وقد سقطت مبانيتها وتسلل بعض من كرامة الفقراء وشعورهم بالفخر إلى الكروش المتنفخة من غداء ما بعد صلاة العصر فارتفع مكان القلب فيها واستوى على بعض قوامه مقام الصدر صباح الخير للجلطة الدموية وهي تخرج من أشلاء الضحية والضحية طفلة أو صبية فتصير جرنومة المدى العربي المفتوح باسم الدم المسفوح تصيب قلب ساكن هذا القصر فيقال مات بحلطة خرجت من شطية جاءت من غزّة وصار داء العصر جلطة اسمها غزّة تجتاح القصور وتصيب ساكنيها قبل الموت برجفة العزّة هكذا تنهار القصور كمن ما اعتاد يوماً على البخور

قالت له

قالت له: كيف تعرف من تحب ممن تخاف ممن تحترمه؟ فقال لها: عندما نصمت أمام الرأي المختلف ونحن على ثقة بأننا على حق، فنحن نحترمه، وعندما نجيب بطريقة السؤال الانتراضي فنحن نخاف، وعندما نجيب بكل ثقة فنحن نجب. وعندما نكون على ثقة بأننا على خطأ ونجيب باعتذار تفسيري للقصد فنحن نحترمه. وعندما ننفي أن نكون من هذا الرأي وكأن الأمر م داعية فنحن نخاف. وعندما نعاند برأينا الخاطيء فنحن نجب. فقالت: ومتى نكون نجب وتحترم؟ فقال: إن كنا على ثقة بأننا على صواب نجيب بالأسئلة. وإن كنا على ثقة بأننا على خطأ نقول إن الرأي الآخر لا يفسد في الوُد قضية.

فقالت: وأن نحترمه ونخاف؟ فقال: في الحاليين لا نجيب إلا بحركة الرأس تسأولاً أو تعجبياً أو إقراراً. وأضاف: والحب والخوف؟ فقال: تحلّ حركة العيون والأيدي مكان الرأس وانتهت بالسؤال. وإذا اجتمع الحب والخوف والاحترام؟ فقال: ينسحب بلا تعليق لكن بسؤال هل من شيء آخر؟

قالت له: ألا ترى أن الناس يتحدّثون كثيراً عن أحادية الحبيب وأبدية الحب الواحد بينما يفعلون في سرهم خلاف ذلك رجالاً ونساء؟ فقال لها: المهم أن تعرف بين هؤلاء الرجال والنساء الذين نجب من هو الحب الأول والأخير. فقالت له: لكن البعض بهمهم من هو حب منتصف الطريق. فقال: وقد يكون الأهم حبيب يبقى في مخيلتنا نقيم الحساب لغضبه ورضاه ونمارس كل أنواع التخفي والاحتيال كي لا تظهر مشاغباتنا الصبيانية أمامه. فقالت: أليس هذا نوع من الحب الذي لا نرضاها؟ فقال: إن عدم الرضا من علامات الإصابة بداء الحب. فقالت لهذا انا الآن لا أشعر بالرضا... ومضت.

رياضيات في الكلام

◆ متى كان الغضب وضيق الصدر على الأقرنين من الناس مشغوعين بعذر التعوّد كان في القلب سرّ نظيف، أو حب نصميه، أو خلل نحاربه، وهو غضب الاستيقاق، ومتى كان الغضب مشغوعاً بعذر الملل من التكرار، فهو خوف من صدق الانتقاد، وقلق الابتعاد، وبعض من عناد، وهو غضب الافتراق. ومتى كان مشغوعاً بعذر الاتهام بالتحقير، أو قلة التعبير، أو إغشاء سرّ خطير، فهو تعلق بضمير، أو سوء تدبير، وهو قلق الاستيقاق. أما متى كان مشغوعاً بعذر المرض والحصى والتعب، فهو بعض من الحنوّ والتعب، والخوف من القدر وما كتبه، وهو غضب الافتراق.

◆ بين مدى العقل ومدى القلب ومدى اللسان تدبير وعلاقة، فما اتسع مدى الثلاثة معاً، لا ارتفعت حرارة الثلاثة معاً، فما جمعهم لدى الإنسان طاقة، من اتسع مدى قلبه وعقله قصر مدى لسانه، فصار خير الكلام ما قلّ ودلّ، ومن اتسع مدى لسانه وقلبه ضاق مدى عقله، فصار سريع الغضب والحدار دمع المغلّ، ومن اتسع مدى عقله ولسانه صار قلبه غرفة صغيرة بسرير واحد، ومن احترق قلبه بحرارة المشاعر ولسانه بقوة الكلمات كان يعقل بارد ونتائج واضحة، ومن اشتعل عقله بالتساؤلات والإجابات ولسانه بالاعتامات أو طيب الصفات كان قلبه البارء منزللاً بنوافذ متعدّدة وروح متسامحة، ومن اشتعل عقله باللهمّ وفار قلبه بالدم، كان لسانه بطيء التعبير مع حسن التدبير.

البناء



نذكر إن تتفع الذكرى

في مثل هذه الأيام كل عام، منذ عام 2006 تحلّ ذكرى حرب تموز. ونحاول أن نقرأ وأن نكتب وأن نعيد القراءة والكتابة. وهذا بعض من تلك المحاولات أعيدها للتذكير، والمقارنة للخلاصات بما أظهرته حرب تموز الثانية في غزّة.

تغيّرت معادلات السيّد؟

في 2013/8/15

الاستيطاني والاقتصادي والعسكري والسكاني بكل المرتبات المادية والمعنوية لذلك الاستهداف الذي لم تعش هواجسه في الحروب التي سبقّت حرب تموز. وهي قدرة ثبت أنها في تناقص مستمر كلما تقدم عمر الكيان. وأصبحت الأجيال الراحعة والخامسة هي المعنية بلعبة الصبا والوجود فيه، ما لم يشفها حلّ تقنيّ يجعلها بمنأى عن هذا الخطر وثأرياته التي لا شفاء منها، إذا وصل هذا الاستهداف وطاول العمق وعمق العمق.

- الثالث، عدم قدرة إسرائيل، على تحمّل حرب طويلة المدى الزمني، وكانت حرب تموز أطول صربوها قبل تموز وبعده، فمن حرب الأيام الستة عام 1967 إلى تسعة عشر يوماً في حرب 1973، مع وقف النار على الجبهة المصرية التي انتهت معها الحرب كخطر عسكري واستراتيجي، على رغم استمرارها حتىّ 31 أيار 1974 كحرب استنزاف محدودة على جبهة الجولان، وانتهاء 22 يوماً في حرب غزّة الأولى 2008- 2009 وإا يوماً في حربها الثانية 2012، وذلك لأسباب التكوين القائم على المهاجرين إلى الكيان ومخاطر الهجرة المعاكسة أو لأسباب اقتصادية تتصل بغدرة الصمود، خصوصاً تأمين دورة الكهرباء والوقود وحجم قدرات التخزين في كيان بلا عمق جغرافي، ويستند إلى بحر مكشوف للنار في حالة الحرب. جاءت حرب الأيام 33 لتكون فعلاً أطول حروب الكيان الصهيوني، ليس من باب الصدفة.

◆ الرابع، عدم قدرة إسرائيل، على توسيع نطاق حربها مع المقاومة لتصير حرباً شاملة تطاول في نهاية المطاف سورية وإيران، ليقينها أنّ البعد المعنوي لانخراطها في الحرب، سيزيدهما وزناً شعبياً وسياسياً، ويحاصر حلفاءها وداعميها في النظام العربي الرسمي، ويحرجهم، كما سيزيد من مخاطر تعرضها لنار أوسع وأشمل وأشدّ قسوة.

- الخامس، عدم قدرة الغرب، خصوصاً أميركا، على دخول الحرب عسكرياً بجيوشها إلى جانب إسرائيل، لتعديل توازنات معينة سواء بالقدرة البشرية أو النارية، خصوصاً بعد المرتبات الناتجة عن فشل الحريين الأميركيّين الكبيرتين في العراق وأفغانستان، وما ترتب عليهما من آثار على نظرية الحرب الأميركية وشروط التورط والتدخل وأشكالها.

◆ على ضفة المقاومة والسيد، هناك سبعة عناصر صنعت المعادلة في تموز وتكرّست بعدها: الأول، امتلاك جسم محترف من بضعة آلاف من المقاتلين المتمكّنين من كل صنف السلاح واستخدام أكثره تطوراً في مجالات حرب الصواريخ والدروع والذفاع البحري والجوي والاتصالات ومنظومات الإدارة والتجنّس والتلصّت والمتابعة، وهو جسم ممتلئ باليقين بالنصر، جاهز للضحية وخذل الدماء، يحقق ذاته الدنيئة بمفهوم الشهادة، وفي الحرب يتغنّ خوض معارك الأثقال والالتفاف، ويستند إلى نظرية عسكرية قوامها أن الثبات يشكل نصف الحرب ونصف النصر.

◆ الثاني، الاستناد إلى بنية شعبية مساندة لخيار المقاومة تمخّذ بالموارد البشرية والمعنوية والمادية، ولا تبخل بالنضويات، وتحمّل أقسى أنواع الدما والخراب والقتل وخسارة الأرواح، وتثق بقيادتها حتى الموت، ولا تبتدل ولا تهتزّ ولا تتراجع، وتحيط بها شرائخ إسناد متعدّدة طائفاً تشكل لها شبكة حماية في النسيج اللبناني المتعدّد.

- الثالث، امتلاك قدرة صاروخية تتنامى كمّاً ونوعاً، وقادرة على المناورة في وجه الدفاعات الإسرائيلية، وإصابة أهداف في عمقه الاستراتيجي الاقتصادي والسكاني والعسكري. ولديها آليات للعمل والاستمرارية في أقسى ظروف القتال والاستهداف والتعرّض للنار والدما.

- الرابع، تطوير قدرات الحرب البريّة، خصوصاً الحصول على موارد الصواريخ المضادّة للدروع والحوّمات وتطويرها، وتصنيع العبوات الذكية والمعقدة التي تضاهي أحياناً فاعلية الصواريخ، بما يجعل القدرة اللازمة لخوض المواجهات مع أكثر الديابات تحصيّن وأكثرها قدرة على المناورة أو أقواها وأخطرها، في مدى النار وقدرتها.

- الخامس، إنقان فنون الحرب النفسية وقواعدها بأشكالها المتنوّعة، خصوصاً على مستوى

القيمة الاستثنائية التي تميّز بها وأغناها سيد المقاومة، حتى صار رمزاً لها في العصر الحديث كما صار حضوره وصارت إطلاّاته مواعيد مكرّرة لمواصلتها، وإنخاں الجراحات الإسرائيلية، في كل مرّة. السادس هو القدرة على تقادي الإنزلاق لحروب الفتن الداخلية، والبقاء على جهوية قادرة على خوض أيّ مشروع حرب إسرائيلية، على رغم البيئة المعقدة المحيطة والملبّية بالحاسدين والحاقدين والمستعدين للتأمّر والطعن من الخلف وحشد القدرات للتوريط في الحروب الجانبية.

- السابع هو القدرة على بناء صدقية تسجح باستثمار جاذبية القضية الفلسطينية في النفوس والعقول والقلوب العربية والإسلامية وربط قضية المقاومة بها وتحذير حضور فلسطين في الوجدان الجمعي للعرب والمسلمين، بصورة تبيح دائماً استنهاض شبكة شعبية وسياسية خاضة للمقاومة توازن أو تتفوق أو تتنجح في إحداث الشلل بقدرة التواطؤ الرسمي العربي، وأحياناً شق صفوفه. كما تتنجح في استقطاب جزء من المؤسسات العربية السياسية والبيلوماسية والإعلامية لتعويض ضعف المقاومة في هذه المستويات، خصوصاً كلما نجحت العوامل الجوهرية في حركة المقاومة التي تمثّلها صناعة الانتصارات.

مختصر مفيد

والمغربة حيث المصالح الحيوية لإيران والطبيعة الديمغرافية لا تسمح للنظام السعودي كخطام بلا قلب، أن يخلع بالحكم، بل بوضع تفاوضي جيد للشراكة فيه.
وهو بها يتلمح، بعد ظهور داعش حيث التغطية التي يقدمها، أو يمكن أن يقدمها، أو يستطيع أن يقدمها النظام السعودي كخطام، تمنحه أكثر مما تعطيه الديمغرافيا وتوازات الطوائف، وهو كخطام بلا هوية ولا مشاعر كان مستعداً أن يفعل ذلك لو أنّ إيران في وضع مختلف، إلا أن المشكلة هي....
ستظلون سورية، وأنتم مخطئون، ففي سورية حرب عمرها ثلاث سنوات ويزيد، وقد مرت الحرب في ظروف ومعادلات كان الرهان السعودي على كسبها في مكانه كما يرى أهل الشعب وقصور الرمال.
وكاد النظام السعودي يحتفل يقرب سقوط النظام الواقف على نقیض من مواقفه إزاء كل ما يجري في المنطقة فوق تلال قاسيون، لولا البحصة التي تسند الخابية، التي يرى النظام السعودي كخطام أنها سببت له الهزائم وغيرت مجرى الصراع وبالتالي المنطقة...
إلى حزب الله.

◆ لا يرى النظام السعودي كخطام قبائله إلا حزب الله، فلولا ما وعد به هذا الحزب القيادة الإيرانية من إنجازات في غزّة وسورية والعراق ولبنان لما كان لديها هذا العناد التفاوضي مع العرب.
واستطراداً مع النظام السعودي كخطام بلا مشاعر، ولولا هذا الحزب ومتمماته المبنیة من ذات الرحص، المسمّاه بكتائب حزب الله كل ما يجري في النظام أهل الحق لما تغير المشهد العراقي وتسب بالمزيد من العناد المالكوي.
ولولا حزب الله لما كان هذا الصمود الأسطوري في غزّة، ولولا ما نجح الحوثيون في اليمن في

5 حديث الجمعة